الفصل الخامس

وكانت « الحرب الإعلامية » . . نقطة تحول هى الأخرى !

obeikandl.com

obeikandl.com

أنت تكذب مثل راديو القاهرة !
عفواً : أنت تكذب مثل راديو تل أبيب ! !

كانت نظرة الإسرائيليين للإعلام العربى – خاصة بعد يونية ١٩٦٧ تنبض بالسخرية والتهكم ، حتى أن شبانهم كانوا عندما يمزحون يقولون بعضهم للبعض : « أنت تكذب مثل راديو القاهرة ! ! » .

بل إن الخبراء الإسرائيليين تعدوا نطاق السخرية والقول بكذب الإعلام العربى ، إلى كتابة دراسات يحللون فيها « هذا الإعلام الكاذب . . وأسبابه الاجتماعية » . – وهذا على سبيل المثال – واحد من أشهر الأساتذة الإسرائيليين هو « هركابى » . . كتب يقول :

« إن افتقار العرب إلى الأمانة فى حياتهم العامة ، وميلهم إلى تسميم أفكارهم هى أخطاء شائعة عند العرب أنفسهم ، وهى أخطاء يندون بها هم أنفسهم » .

. . والواقع أن هذه النظرة لم تكن إسرائيلية فحسب ، ولكنها امتدت إلى دول كثيرة بنت رؤيتها للإعلام العربى على أخطائه فى حرب يونية ١٩٦٧ ، وقامت الدعاية الصهيونية بتغذية هذه الرؤية بكل الوسائل .

. . . . . .

ولكن . . لماذا تحولت الجملة الإسرائيلية الشهيرة « أنت تكذب مثل راديو القاهرة » إلى العكس تماماً . . فأصبحت « أنت تكذب مثل راديو تل أبيب » . . ؟

إن هذا التحول الذى نتعرض له بالدراسة فى هذا الفصل هو نتيجة أخرى للحرب بالغة الأهمية والخطورة . بل إنها فى حد ذاتها تجسيد لنقطة تحول ضخمة فى الصراع العربى – الإسرائيلى كله .

أولا : فكرة عامة عن جهاز الإعلام الإسرائيلى :

قبل وأثناء حرب أكتوبر كانت هناك عدة هيئات تقوم بالعمل الإعلامى بديلا عن وزارة إعلام خاصة . وهذه الهيئات هى :

١ – **الإدارة المركزية فى وزارة الخارجية** : وتقوم على العمل الإعلامى الموجه للرأى العام العالمى ، وتشرف عليها وزارة الخارجية .

٢ – **مكتب المعلومات المركزى** . ويشكل من المكتب الصحفى للحكومة هيئة واحدة ترتبط بمكتب رئيس الوزراء . ومهمة هذا المكتب المركزى هى ترسيخ الوحدة الثقافية والروحية والاجتماعية بين السكان فى إسرائيل ، وتعميق ارتباطهم بالدولة .

والمكتب مسئول بشكل أساسى عن الإعلام الموجه إلى الداخل .

٣ – **المتحدث بلسان الجيش** : وهو المسئول مع (هيئة العلاقات العامة) فى وزارة الدفاع عن اطلاع الجمهور الإسرائيلى والخارجى بصفة مستمرة على الأوضاع العسكرية . وبديهى أن للمتحدث العسكرى أهمية ضخمة فى أثناء الحروب .

. . هذا وتتصل هذه الهيئات أو المحطات الإعلامية بشكل مباشر بالمراكز العليا فى الدولة وهى :

(مكتب رئيس الوزراء – وزارة الخارجية – وزارة الدفاع) . وبالتالى فإنها هى التى تقوم بوضع الشكل الأساسى للخطة الإعلامية من خلال ما يصدر عنها من بيانات أو تصريحات أو مؤتمرات صحفية وتصب عملها فى دار الإذاعة والتليفزيون التى تتصل هى الأخرى مباشرة بمكتب رئيس الوزراء ، وفى الصحافة التى تخضع هى الأخرى لتوجيهات المكتب الصحفى لرئيس الوزراء . وتجدر بنا الإشارة إلى أن ما كان يقدمه الإعلام الإسرائيلى من خلال الإذاعة العبرية كان يتم تصفيته وتعديله عندما يوجه عبر الإذاعة العربية . . بحيث كان يتم التركيز على الصمود الإسرائيلى ونقاط الضعف فى الجانب العربى .

. . . . . .

كيف سار الإعلام الإسرائيلى أثناء الحرب ؟

(أ) كان البيان الأول موجهاً من جولدا مائير رئيسة الوزراء وقتذاك ، وقد أذيع هذا البيان بعد ساعات قليلة من نشوب الحرب ، وركزت فيه مائير على النقاط التالية :

١ – قيام جيش الدفاع بصد الهجوم المصرى – السورى .

٢ – قوات جيش الدفاع تكبد القوات العربية خسائر فادحة .

٣ – لم تفاجأ إسرائيل إطلاقاً باندلاع القتال وبالتالى فإن جيش الدفاع كان على

أهبة الاستعداد منذ اللحظات الأولى .

٤ – الثقة كاملة فى أن أحداً لن يصاب بالذعر .

٥ – التركيز على أن العرب انتهكوا يوم الغفران اليهودى .

. . . . . .

(ب) بعد ذلك . . أعطيت الكرة (الإعلامية) إلى وزير الدفاع الجنرال موشيه ديان وذلك لاستثمار رصيده الشعبي و « البطولى ! ! » وباعتباره من أركان أسطورة جيش الدفاع الذى لا يقهر ، فقام على الفور بالظهور على شاشة التليفزيون (قبل منتصف الليل) ووجه حديثاً جاء فيه أن معارك قاسية تدور على الجبهتين المصرية والسورية وأن إسرائيل لم تكن تريد شن حرب وقائية ، وأنه بعد فترة انتقال محدودة سوف يصل جيش الدفاع إلى كامل قوته المعهودة .

. . . . . .

وبعد ذلك عقد ديان مؤتمراً صحفيًّا – فى نفس الليلة – أبرز فيه ما يلى :

– يجرى الآن صد المصريين ، وسوف يتم إخضاعهم !

– سترفض إسرائيل وقف إطلاق النار .

– لن تستمر الحرب أشهراً أو أسابيع أو حتى أياماً . . فسوف يحسمها جيش الدفاع الإسرائيلى فى وقت قصير جدًّا يقاس بالساعات ! !

. . . . . .

وبرز بعد ذلك دور الجنرال حاييم هرتسوج كبير المعلقين الإسرائيليين ومدير المخابرات السابق . فوجه أول أحاديثه فى منتصف الليلة من اليوم الأول (٦ أكتوبر ١٩٧٣) . . وقال فيه :

– إن إسرائيل كانت على أقل درجة من الاستعدادات .

– إن القوات الإسرائيلية على قناة السويس محدودة .

– مع إتمام الحشد سيتم الانتقال إلى مرحلة الهجوم المضاد .

– إن التفوق الإسرائيلى حاسم تماماً . وليس محل مناقشة . !

– سوف يتم انتزاع الأراضى التى احتلها العرب . . وسوف يجبرون على وقف إطلاق النار .

. . . . . .

وإلى جانب المتحدث العسكرى (حايم هرتسوج) توالت تقارير المراسلين الحربيين من خلال الإذاعة ، وعلى صفحات الجرائد والمجلات ، وقد ذكرت معظم هذه التقارير صوراً جزئية من المعارك ، وتحدثت عن بطولات كثيرة . . كان واضحاً عنصر المبالغة فيهـــا .

ومن أمثلة هذه التقارير ما قاله المراسل الحربى (عاموس اتنجر) عن أنه تم تدمير وهدم عدد من الجسور التى أقامها المصريون عبر القناة وأنه من المتوقع أن يتم تدمير باقى الجسور سريعاً . وقال عاموس : إن قواتنا المدرعة دخلت فى مرحلة الهجوم . وقد سادت الفوضى بين القوات المصرية نتيجة القصف الذى وجه لها ، وقد تم انقطاع بعض هذه القوات عن خطوط تموينها .

. . . . . .

ومن جبهة الجولان قال المراسل الحربى (بحزقيل همئيرى) :

إن ضابط مدرعات شاب لا يتخطى عمره ٢٤ سنة قاد قوة صغيرة فى معركة ضد طابور مدرعات سورية ، واستطاع تدمير أكثر من خمسين دبابة وشاحنة سورية فى وسط هضبة الجولان » .

. . . . . .

وتحدثت الصحف العبرية التى ظهرت يوم ٧ ، ٨ أكتوبر عما أسمته بالكوارث العربية الأولى .

فمثلا قالت لينفارماسيون فى يوم ٧ أكتوبر « من وجهة النظر العسكرية فإن هذه المواجهة المسلحة مع العدو تدور فى ظل استراتيجية أفضل بكثير من مثيلاتهـــا عام ١٩٦٧ .

– وقالت « هآرتس » فى نفس اليوم : « إن واشنطن على ثقة من أن إسرائيل ستتصدى للهجوم وتنهيه فى يوم أو اثنين » .

– وقالت « هاتسوفيه » : « إن الضربات التى يوجهها جيش الدفاع الإسرائيلى إلى القوات العربية أقسى من الضربات التى وجهها إليها فى الماضى » .

. . . . . .

ونواصل معاً قراءة بعض ما ذكره الإعلام الإسرائيلى أثناء المعارك لكى ننتقل بعد ذلك إلى ما وقع فيه من تناقضات كشفت انهيار الخطوط الدفاعية والهجومية للإعلام

الجنرال دينيد بيعازر فى أحد تصريحاته الملتهبة فى الساعات الأولى للحرب ، مشاركا بقية القادة الإسرائيليين حملة إعلامية كشف المراسلون الأجانب كذبها الفاضح

الجنرال حاييم هيرتسوج المتحدث العسكرى الإسرائيلى فى مؤتمر صحفى . . كان ملمحا من صورة هزيمة الأعلام لإسرائيل

الإسرائيلى ، مع انهيار خطوط قوات جيش الدفاع .

– فى يوم ٨ أكتوبر ١٩٧٣ – لخص العميد « يتسحاق حوفى » قائد المنطقة الشمالية الوضع فى الجبهة السورية قائلا :

« إن سلاح الطيران (الإسرائيلى) يقوم بتدعيم ومساعدة القوات المدرعة وهو يعمل فى سماء نظيفة لا طائرات للعدو فيها ، كما أن طائراتنا لا تواجه تقريباً أية نيران أرضية من قوات السوريين بعد أن تم تدمير معظم بطاريات الصواريخ السورية المضادة للطائرات بالأمس .

. . . . . .

– وفى الجبهة الجنوبية قال العميـــد « أبراهام مندلر » ، قائد القوات المدرعة فى سيناء :

« إن القوات المصرية قد تصدعت . . وإنه يجرى ضرب هذه القوات حتى الهزيمة النهائية . إن سيناء تشهد للمرة الرابعة هزيمة المصريين ! ! »

. . . . . .

– أما (ديان) فقد عاد ليبث تصريحاً آخر عبر الإذاعة العبرية . . قال فيه : إننا سوف نلحق بالعرب هزيمة رهيبة . إننا سنسحق كليتهم . . وإذا كانوا قد ألحقوا بنا بعض الخسائر نتيجة المباغتة فإننا سوف نلقنهم درساً قاسياً لن ينسوه . وإن النصر الذى سنحققه لن يستغرق سوى ساعات فقط .

. . . . . .

– ويتحدث أيضاً دافيد أليعازر رئيس الأركان الإسرائيلى ، أمام مئات الصحفيين الأجانب الذين ازدحمت بهم يوم ٨ أكتوبر قاعة بيت سوكولوف للمؤتمرات وهى المركز الصحفى لجيش الدفاع الإسرائيلى ، فيقول :

« إننا سنطارد المصريين والسوريين ، . . وسنلاحقهم . . وسنسحق عظامهم وندق لحمهم » .

– بل إن الإعلام الإسرائيلى وصل إلى الحد الذى أعلن فيه عن وصول مجموعات السياح إلى البلاد كما كان مقرراً . . وتوقع وصول مجموعتين أخريين فى الأيام القليلة القادمة ! !وحتى لو كان الإعلام الإسرائيلى يحاول إخفاء وصول المتطوعين والمرتزقة الذين نشطت الوكالات الصهيونية فى جمعهم أو استئجارهم ، بالقول بأنهم « سياح »

إلا أن اللهجة التى أذيع بها الخبر كانت توحى بأن كل شيء يعود إلى ما كان عليه بفضل جيش الدفاع الذى لا يقهر !

– ثم نتوقف أخيراً أمام تقرير للمراسل الحربى «ريلر شور» الذى بعث من جبهة القناة يقول «فى الساعات الأولى للمعركة جرح ضابط شاب ، وبقى فى دبابة مصابة لا تستطيع الحركة . وعلى الرغم من جروحه فإنه نجح فى وصل دبابته بدبابة أخرى كانت مصابة أيضاً ، وبمساعدة قائد هذه الدبابة الثانية أخذ يطارد العدو ودمر دباباته ونقل بعض الجرحى ، ثم هاجم بعض المواقع المصرية ! !

(هكذا رسم المراسل الإسرائيلى للمستمعين والقراء صورة لا يحققها جيش جيمس بوند نفسه ! ! مهما كان خيال المخرج والمؤلف ! !)

التناقض . .والارتباك :

إذا كانت بعض دلائل التناقض قد ظهرت فى الصفحات السابقة ، إلا أن المتابعة الدقيقة تكشف الكثير من التناقضات الحادة بما تعكسه من ارتباك إعلامى واضح . ونلتقط مثلاً هذه النماذج .

– فى يوم ٨ أكتوبر ١٩٧٣ وهو نفس اليوم الذى وعد فيه ديان بسحق «كلية» العرب كما يقول التعبير الإسرائيلى ، وقال فيه أليعازر «إننا سنسحق عظام المصريين والسوريين وسندق لحمهم» فى نفس هذا اليوم . . كان مذيع راديو إسرائيل يقول فى ثقة – إن قواتنا تسحق – أكرر «تسحق» القوات المصرية والسورية . وإن جنودنا فى الجبهة المصرية يقولون «إننا لا نرضى أن نكون مكان المصريين الذين أجهز عليهم تسهال «جيش الدفاع ! !» . . وأيضاً قال مراسل حربى :

«إننا ننقض وننقض . ويقول لى رجال مدرعاتنا إن أمامنا قوة تفوقنا عدداً ، ولكن المعرفة فى هذه الحالة تلعب دوراً أكبر من العدو المتفوق تماماً مثل لعبة الشطرنج ! !»

. . . ويقول مراسل آخر (يهو شواع جلون) مراسل الإذاعة العبرية «إن المعطيات القائمة فى أرض المعركة الآن تؤهلنا لإبادة السوريين تماماً : !»

. . ويقول مراسل آخر (رافى أونجر) من جبهة سيناء :

«إننى أستطيع أن أصف قائد القوة التى أرافقها بأنه صاحب القبضة الساحقة ! !»

. . هذا بعض ماجاء فى يوم ٨/١٠/٧٣ عن سحق القوات الإسرائيلية للمصريين والسوريين..

ولكـن فى نفس اليوم يحدث التناقض الواضح حين تذاع مقابلات مع ضباط وجنود إسرائيليين . . وترد رسائل أخرى من المراسلين الإسرائيليين :

* فتذاع مثلاً مقابلة مع ضابط إسرائيلى يقول فيها :

« مازلنا نتعرض لقصف شديد جداً ، وتقع القذائف حولنا ، وبسبب هذا القصف المدفعى تراجعنا إلى الوراء ، لكن القادة يأمروننا بالتقدم إلى الأمام بأى ثمن ، ونحن ننتظر ما سيحدث وفى هذه الأثناء تستمر علميات القصف » .

* ويقول ضابط آخر من سلاح الطيران فى مقابلة مع مراسل الإذاعة العبرية :

« أما بالنسبة للقوات الأرضية فإنها مزودة بمعدات مضادة للطائرات كثيرة وفعالة جداً ، وإن قوة النيران المضادة للطائرات قوية جداً فى معظم الجبهات » .

وفى اليوم التالى (٩ أكتوبر ٧٣) وبعد انهيار الهجوم الإسرائيلى المضاد تتوالى الرسائل لتكشف المزيد من التناقض .

فيقول مثلاً مراسل الإذاعة العبرية (رونى دانيال) :

« بالأمس كنت شاهداً لنقاش بعض الجنود فى آلية نصف مجنزرة ، وكان موضوع النقاش هو : ما الاسم الذى سيطلقونه على هذه الحرب ، وتبلور اقتراح من واحد منهم بأن يكون الاسم « حرب الأيام الرهيبة ! ! »

– ولكن إيجال آلون ، نائب رئيس الحكومة يقول فى اليوم التالى (١٠ / ١٠ / ٧٣) :

« إن الجيش الإسرائيلى لن يتوقف عند خطوط وقف إطلاق النار وإذا اقتضت عملية إبادة العدو المصرى والسورى ذلك ! ! »

– وفجأة تستجمع جولدا مائير شجاعتها وتقول « فى نفس اليوم » :

« فى هذه الأيام الأربعة واجهتنا ساعات صعبة جداً ، وساعات شجاعة جداً . . لقد حدث تحول نسبى ، ومع هذا فإننى ملزمة بأن أقول لكل واحد منكم إن الحرب لم تنته حتى الآن ! ! . . . . . .

واستمر ارتباك وانهيار الإعلام الإسرائيلى طوال أيام الحرب ، لكى يفقد الإسرائيليون أنفسهم والعالم كله الثقة نهائياً فيما يصدر عن أجهزة الإعلام الإسرائيلية .

ونحن لو أردنا أن نضيف أمثلة أخرى – ولو من الفترة التى تصورت فيها إسرائيل أن إعلامها استعاد توازنه – فإننا سنجد ما يؤكد الارتباك والكذب والانهيار .

فمثلا ها هو ذا ديان يظهر مرة أخرى ليقول فى ١٨ / ١٠ / ٧٣ (بعد أن أنقذ

الدعم الأمريكى قوات جيش الدفاع . . مما مكنها من دفع قوة إلى غرب القناة فيما سمى بالثغرة) يقول ديان :

« إننا قد استعدنا زمام المبادرة فى الجبهة المصرية ، هذا بالإضافة إلى زمام المبادرة التى حققناها فى الجبهة السورية . إن هناك مفاجآت تنتظر المصريين » .

وبالرغم من أنه (ديان) تجاهل تماماً ما قاله فى بداية الحرب من أنها ستستغرق ساعات فقط وليس أياماً (كان قد مر على بدايتها حتى ذلك الوقت ١٢ يوماً ! !) فإنه أكد على استعادة جيش الدفاع لزمام الأمور . . بل ووعد بمفاجآت مثيرة .

والمعروف أن القوات الإسرائيلية التى كانت تقوم بمهمة الثغرة فى ذلك الوقت كانت تعانى من الضربات المصرية القاسية والرهيبة – كما وصفها الضباط والجنود الإسرائيليون – ولدرجة أن ديان نفسه ومعه باراليف واليعازر وجونين طلبوا من شارون الاقتراب من الشاطئ لاحتمال إلغاء العملية كلها ! !

. . وعلى أى حال فقد تأكد التناقض الإعلامى العلنى حين ظهر المتحدث العسكرى حاييم هيرتسورج فى (٧٣/١٠/٢١) ليقول :

« إنه تجب الإشارة إلى أن الجيش المصرى يقاتل ويعمل كجيش منظم وإن جزءاً من قواته يرابط فى مواجهة قواتنا دون أن يدخل معه بعد المعركة الشاملة . وكما هو واضح فإن الجزء الرئيسى من جيش العدو موجود الآن فى سيناء دون وجود أى مؤشر لإمكانية زحزحته ! » = بل إنه هو نفسه (ديان) عاد يقول فى (٧٣/١٠/٢٠) « إننى لا أقول بأن الحرب فى الجبهة السورية قد انتهت وبالنسبة للقناة فلا زلنا بعيدين جداً عن احتلال إقليمى وطردهم إلى غرب القناة » .

. . . . . .

. . وتستوقفنا الكذبة الكبرى التى لطخت وجه الإعلام الإسرائيلى تماماً وأكدت فيها تضليل إعلام إسرائيل للكثيرين منذ بداية الحرب ، ولعلها تكون امتداداً – بوجه خاص – لتلك الكذبة التى طيرتها وكالات الأنباء فى يوم ٨ / ١٠ / ٧٣ كخبر مثير (ومتوقع من الجيش الذى لا يقهر) حين أعلن أن قوات الجنرال آدن قد عبرت القناة فى منطقة حزيون وفرقان – وقد تسبب نقل هذا الخبر الكاذب فى صدمة مؤلمة للصحفى الفرنسى « أين كيو » الذى سارع بنقله إلى صحيفة « لوفيجارو » . . . أما الخبر . . أو الكذبة الأخيرة التى أقصدها فهى تلك البرقية التى طيرتها وكالات الأنباء يوم ٢٤ أكتوبر

٧٣ عن احتلال القوات الإسرائيلية لمدينة السويس ، وكيف أدلى الحاكم العسكرى الإسرائيلى (الذى وقف بمسدسه معلقاً فى حزامه وفرحة الانتصار تطفو على وجهه) بتصريح يقول فيه إن مقاومة المدينة انتهت . . وإنها الآن تأتمر بأمره باعتباره الحاكم العسكرى

وحين توالت استغاثات القوات الإسرائيلية التى حاولت دخول السويس . . وأصبح الشغل الشاغل للقيادة محصوراً فى إنقاذ من تبقى من هذه القوات وإخراجهم من بين نيران المقاومة الشعبية فى السويس . . كان على إعلام إسرائيل أن يبتلع كذبته . . ويبحث عن أى مبرر بعـد أن تكشفت الحقائق للعالم كله . وظلت السويس صامدة . . قـوية .

. . . . . .

وبديهى أن المراسلين الأجانب الذين تدفقوا على إسرائيل لدى اندلاع الحرب ومعظمهم يؤمن بأنه سيتسنى له مشاهدة عرض مكرر لحرب خاطفة مثل تلك التى قام به جيش الدفاع الإسرائيلى فى ١٩٦٧ . . والذين سمع بعضهم لدى وصولهم فى صباح الأحد ٧ / ١٠ / ١٩٧٣ ثانى أيام القتال ، من يقول لهم من الإسرائيليين » : « لقد تأخرتم كثيراً . . إن تسهال (جيش الدفاع) على وشك أن ينهى العملية كلها » ! !

بديهى أن هؤلاء المراسلين قد عانوا كثيراً من الإعلام الإسرائيلى . . فقد سقط كثيرون منهم فى الأكاذيب التى أبلغت لهم فى صورة تقارير وبيانات . وفقد بعضهم سمعته الصحيفة لدى صحيفته وقرائه أو وكالته . . حتى أن رؤساء هيئات التحرير التى ينتمون إليها فى الخارج أرسلوا لهم يقولون :

« إننا لا نثق فى بلاغات الناطق العسكرى الإسرائيلى » :

. . ومن جهة أخرى منع هـؤلاء المراسلون الأجانب من السفر إلى خطوط الجبهة خلال الأيام الأولى من الحرب ، ومن حديقة العشب الأخضر فى بيت سوكولوف (الذى استخدم مركزاً للاتصال لجميع الصحفيين المحليين والأجانب) أرسلوا إلى صحفهم يقولون وقد خذلوا تماماً « إن إسرائيل تخفى حقيقة ما يجرى فى ميادين القتال » .

. . وعندما تسلل بعضهم سراً إلى جبهة الجولان . . عادوا إلى تل أبيب لإرسال برقياتهم محاولين خداع الرقابة العسكرية وقد حملوا معهم أخباراً مثيرة للقلق . . فقد أجروا لقاءات مع عدد من الضباط والجنود الإسرائيليين الذين قالوا لهم بتشاؤم كبير : « لقد

انتهى عهد الجيش الذى لا يقهر ، وانتهى العيد » . وقالوا : « إن الأمر صعب للغاية ، إن العرب يقاتلون أفضل مما كانوا يقاتلون فى عام ١٩٦٧ . الوداع يا سوكون » !

ملحوظة : (استمع المراسلون الأجانب لهذه الأقوال فى الوقت الذى كانت بيانات إسرائيل – التى كان عليهم نقلها لصحفهم وإذاعاتهم – تقول : إن جيش الدفاع قد استعاد تماماً زمام الأمور على الجبهة السورية وإنه دمر الجيش السورى).

ثم ها هوذا مراسل اليونيتدبرس . . يتمكن من الاقتراب من جندى إسرائيلى من القوة التى تطوق الجيش الثالث (على حد قولهم) . . وبمجرد أن تحدث مع هذا الجندى الذى سبق تجنيده فى الجيش الأمريكى ، سأله عن موقف قواتهم فقال الجندى : « هل تعرف لماذا أشعر باليأس ؟ انظر . . انظر إلى قوات الجيش الثالث المصرى (فى الضفة الشرقية للقناة) . . لقد كنا نتصور أننا نحاصرهم . . ولكن ها أنت ذا ترى روحهم المعنوية مرتفعة ، وهم دائماً مستعدون للقتال وفى أى وقت . إنهم يدركون تماماً أنهم هم الذين يحاصروننا ولسنا نحن الذين نحاصرهم كما نقول . إننا هنا لا نريد شيئاً سوى العودة إلى بيوتنا » ! !

سمع مراسل اليونايتدبرس هذه الكلمات من الجندى الإسرائيلى فى الوقت الذى كان فيه إعلام إسرائيل يهلل ويصدر البيانات والتصريحات عن سوء حالة الجيش المصرى الثالث (المحاصر) .

وقد علق المراسل على ما سمعه قائلا : الآن عرفت لماذا يمنعنا المسئولون الإسرائيليون من الالتقاء بجنودهم ! !

. . . . . .

. . . . . .

مواقف وصور من أوراق الإعلام الإسرائيلى

١ – ماذا تقول إذاعة القاهرة . . يا كوستا ؟ !

تسرب القلق (الذى كان بمثابة نهاية العالم) رويداً رويداً إلى داخل إسرائيل . تسرب هذا القلق (كما يقول جان كلود جيبوه) مثلما يتسرب السم البطىء داخل جسم الإنسان . كان كثيرون يعرفون حقيقة الموقف لأن إسرائيل كبلد صغير لا يمكن إخفاء خبر عنه لمـــدة طويلة . كما أن إمكانية الاستماع إلى الإذاعات الأخرى متاحة فى كل الأحوال .

وفى استوديوهـات إذاعة إسرائيل كان الفنيون منزعجين بعد سماع الأشرطة التى بعث بها المراسلون من الجبهة « والتى كانت الرقابة قد منعت إذاعتها » . . وبدءوا ينقلون الأخبار .

وقد وقعت حادثة عجيبة فى استوديوهات أجهزة التصنت للإذاعات العربية التى تقع فى شارع (صدلين هاما لكا) . وكان المسئول عن الجهاز رجلا يبلغ التاسعة والثلاثين من العمر ، وهو من أصل مصرى يدعى (سقراط كوستا) . وكان قد استدعى مثل الجميع فى ٦ أكتوبر ، وطوال ثمانية وأربعين ساعة تابع وسجل جميع النشرات الإخبارية التى نقلتها إذاعات القاهرة ودمشق وبيروت وقد دهش كثيراً لسماع تلك البيانات إذ لاحظ أنها بيانات معتدلة وأكثر تحديداً ودقة من بيانات إسرائيل الصاخبة .

وعندما غادر سقراط كوستا مكتبه يوم الثلاثاء ٩ / ١٠ / ٧٣ التف حوله جيرانه وأصدقاؤه وأخذوا يسألونه :

« ماذا تقول إذاعة القاهرة يا كوستا ؟ وماذا تقول إذاعتا دمشق وبيروت . . يا كوستا ؟ ؟ »

. . . . . .

. . . . . .

٢ – لقد كان الأمر رهيباً رهيباً :

بمجرد إعلان وقف إطلاق النار اتجه أحد ضباط المظلات الإسرائيليين الذين كانوا ضمن قوات شارون فى الثغرة ، اتجه على الفور إلى مبنى التليفزيون الإسرائيلى معرباً عن سخطه لما كانت تنقله إذاعتهم ، وأخذ يصيح فى وجوه كل من يقابلهم .

« إنه شيء لا يمكنكم أن تتصوروه . . لقد كان الأمر رهيباً هذه المرة . . كان الأمر رهيباً . . رهيباً ! ! »

٣ – أجرأ عملية تزوير إعلامى :

لم يقتصر خداع الإعلام الإسرائيلى للرأى العام العالمى على إصدار بيانات مضللة ونقل تقارير كاذبة عن سير العمليات بجبهات القتال . ولكن تشبثاً بأوهام الماضى ، وفى محاولة للحفاظ على صورة جيش الدفاع الذى لا يقهر والجندى (الإسرائيلى) السوبرمان قام إعلام إسرائيل بارتكاب أجرأ عملية تزوير (إعلامى) . فبينما كان العالم يتابع أخبار الحرب الدائرة محاولا المواءمة بين ما يسمعه من مصادر مختلفة . . وفى الوقت الذى بدأت تنمو فيه الشكوك تجاه ما يصدر عن إسرائيل من أخبار وتحقيقات . . . وصلت إلى محطات التليفزيون فى الولايات المتحدة وبعض دول أوربا وأمريكا اللاتينية أفلام من إسرائيل تصور القتال على الجبهتين المصرية والسورية .

وفى البداية انخلعت قلوب العرب الذين يعيشون فى تلك البلاد ، وشعر المتعاطفون مع القضية العربية بالحزن يتسلل إلى مشاعرهم ، بينما ابتسم الآخرون . . وهم يقولون : « إن إسرائيل تكتسح – كالعادة – القوات العربية . ألم نقل لكم إن جيش إسرائيل لا يقهر . . وإن العرب لا قبل لهم بالقوات الإسرائيلية المتفوقة المتحضرة ؟ ! »

. . وفجأة . . « سقطت السماء فوق رأس الإعلام الإسرائيلى . . لقد اتضح أن هذه الأفلام التليفزيونية مأخوذة من أفلام حرب يونية ١٩٦٧ . . وتكشفت أجرأ عملية تزوير إعلامى . . قامت بها إسرائيل . .

وزادت فجوة الشك وعدم التصديق بين العالم . . والإعلام الإسرائيلى .

٤ – ولم تفلح الوقيعة :

حاول الإعلام الإسرائيلى الضرب على وتر الخلافات بين الدول العربية وبين بعضها والاتحاد السوفييتى . وكانت أولى هذه المحاولات يوم ٨ / ١٠ / ٧٣ حين أذاعت الإذاعة الإسرائيلية خبراً وهمياً يقول : « إن رئيس الحكومة اللبنانية اجتمع بالسفراء العرب فى بيروت وطلب إليهم التأثير على « المخبرين الفلسطينيين » لكى لا يقوموا بأية عملية من من شأنها أن تعطى إسرائيل ذريعة لمهاجمة لبنان » .

وفى نفس اليوم قالت إذاعة إسرائيل « إنه مع بدء اليوم الثالث للمعارك تستمر الدول العربية بالتعهد بتقديم المساعدة خطياً وشفهياً لكل من مصر وسوريا ! ! »

وفى ١١ أكتوبر ١٩٧٣ نفثت إذاعة إسرائيل من خلال فم البروفيسور شمعون شمير محاولة سامة للوقيعة بين مصر وسوريا فقال فى تحليل له : « لقد بدأت تطرح فى أوساط العرب بعض الأفكار حول أهداف المصريين من الحرب وهناك من يقول إن المصريين جعلوا من السوريين لقمة مدفع . لكى يستطيعوا هم أنفسهم إحراز مكاسب إقليمية فى سيناء » .

وفى اليوم نفسه قال هيرتسوج : إن الذى يحدث الآن هو أن الجيش المصرى الذى قام بعملية اختراق أولى فى قناة السويس لم يتقدم ، وسيجد نفسه فى تشكيل مغلق فى الوقت الذى يسفك فيه الجيش السورى دمه ويقاتل دفاعاً عن حياته ، وسينجم عن هذا الواقع تبعات خطيرة فى العلاقات العربية .

وتلقى جولدا مائير خطاباً فى ١٣ / ١٠ تقول فيه : « إن الاتحاد السوفييتى لا يعطى الأسلحة حباً فى العرب وإنما انطلاقاً من مصالح واضحة خاصة به ، إن السوفييت لا يهمهم ولا يعنيهم موت آلاف العرب واليهود ! ! »

ويعود هيرتسوج ليمسك بعصا القيادة لألحان الوقيعة فيقول : « إن دعم القوات العراقية لسوريا ليس عملية دعم عسكرية فقط . فاليوم هناك فرقة عراقية فى سوريا ، وقد جاءت من بغداد حيث يحكم جناح حزب البعث الذى يخوض صراعاً ضد جناح حزب البعث الحاكم فى سوريا ! ! »

. . ويمتد اللحن السام بتعليق لإذاعة إسرائيل يقول : « إنه اتضح من التحقيق مع بعض الجنود المغاربة الذين وقعوا فى الأسر أن السبب الذى أرسلوا من أجله إلى سوريا لم

يكن واضحاً لديهم حتى اللحظة الأخيرة وأنهم لم يعرفوا أنهم سيقاتلون ضد إسرائيل وأن مصير قواتهم كان مراً ! ! »

. . ولا تتوقف محاولة الإعلام الإسرائيلي عند حد محاولة الوقيعة بين الدول العربية ، بل إنها امتدت لتحاول الوقيعة بين أفراد القوات المصرية أنفسهم وكذا بين أفراد القوات السورية . فمثلا أذاع المراسل الحربى (يوسف سوكير) فى يوم ١٣ / ١٠ رسالة يقول فيها : « إن طبيباً مصرياً كان يرافق وحدة من الكوماندوز قال له إنه تلقى تعليمات واضحة بأن يعالج الضباط فقط لا الجنود ! ! »

ومن جهة أخرى يقول تعليق صحفى : « إن الثقة مفقودة بين الضباط السوريين من السنيين والشيعة والعلويين وبين الضباط السوريين من الدروز ! ! »

. . هكذا حاول الإعلام الإسرائيلي إحداث الوقيعة بأى شكل وبكل الوسائل اللا أخلاقية . . لكن هذه المحاولات باءت جميعها بالفشل الذى أضيف إلى رصيد إعلام إسرائيل من الفشل المتوالى . فقد كانت الدول والشعوب العربية واعية تماماً ومدركة لأهداف هذه الحملات الإعلامية . . بل إن المواطن العربى البسيط كان يكتشف بسهولة عملية الخداع السامة فيما يصدر عن إعلام إسرائيل ، فهو يعرف مثلا أن موقف لبنان كان طيباً طوال أيام الحرب وأن ذلك الاجتماع الذى تحدثوا عنه من ابتكار الخيال الإسرائيلي ، كما أن الدول العربية لم تكتف بالمساعدة (الشفوية) كما قالت إذاعة إسرائيل . إن هذه الإذاعة نفسها أخذت تصرح من تدفق المساعدات من الدول العربية ، وأخذت تنعى حظها عندما دخل سلاح البترول العربى فوراً حاسماً . كذلك فإن المواطن العربى البسيط كان يعلم جيداً مدى التنسيق بين الجيش المصرى والسورى . ذلك التنسيق الذى تبلور فى الكثير من مواطن الحرب . فلم يترك المصريون جيش سوريا يتراجع بعيداً . ولم يتركوا طوريا هجومهم خصيصاً لتخفيف الضغط على الجيش السورى .

باختصار كان بديهياً أن إسرائيل لا يروقها أن تأتى المساعدات العربية ولا يسعها مصلحة سوريا . . فتحذرها تارة . . ليرد الكسندرى العراق . وتنبهها تارة أخرى إلى أن مصر جعبتها لقمة مدفع .

كما أنها – إسرائيل – ليست بالتأكيد حريصة على الجندى المصرى . فتنهال دموعها تعاطفاً معه لأن أطباء الجيش يعالجون الضباط الجرحى فقط ويتركون الجنود كما اخترع إعلامها على لسان أحد مراسليها . وأخيراً . . فإن سذاجة الادعاء بأن القوات المغربية جاءت

إلى سوريا دون أن تعلم أنها ستدخل حرباً أو أنها ستقاتل إسرائيل . . أمر يثير السخرية والشفقة على تهاوى قلاع الإعلام الإسرائيلى . . فليس هناك ذلك الإنسان الساذج (العبيط) الذى يتخيل أنه جاء ضمن قوات من جيشه إلى سوريا للسياحة مثلا أو حضور مباراة فى كرة القدم أو أنه لو قدر واشترك فى الحرب فإن عدوه سيكون مثلا الجيش البرازيلى أو الرومانى . . المهم أى جيش إلا جيش إسرائيل ! !

. . . . . .

سذاجة . . لم تفلح السموم فى إخفائها . .

وسقوط آخر للإعلام الإسرائيلى . . أليس كذلك ؟ !

. . . . . .

٥ – إذاعتنا تكذب . . أنتم تكذبون ! !

فى مساء الاثنين ٨ / ١٩ / ٧٣ . . وصل المراسل الحربى الإسرائيلى « بريميا يوفيل » إلى أحد الخنادق فى سيناء ، وما كاد يعد جهاز التسجيل ويقترب بالميكرفون من أحد الجنود حتى صاح فيه الجميع : « إنكم تكذبون . . إن الإذاعة تكذب . . إنكم تكذبون ؟ ! »

وفتح أحدهم الراديو الترانزستور . . الذى انطلق منه صوت المذيع وهو يقول : « إن قواتنا تسحق – أكرر تسحق – المصريين ! ! » . . واتصل بريميا يوفيل بإذاعة « صوت إسرائيل » بطريقة عاجلة وصرخ قائلاً أوقفوا هذه الأكاذيب إنكم تخدعون أنفسكم إن الموقف هنا فى جبهة سيناء . . سيئ للغاية ! »

ولم يرد عليه أحد . . بل أغلق التليفون فى وجهه . فأمسك هو بالسماعة وألقاها على أرض الخندق ، والتف حوله ثلاثون من الجنود وكانوا منهكين واجمين وقال له أحدهم : « لا تغضب . . فأنت لست مسئولا عن هذه الأكاذيب . . بيد أن زملاءك الذين يعملون فى صوت إسرائيل لن يضيرهم شىء إذا اعترفوا بالحقيقة ! ! »

ولم يجب يوفيل . وبعد لحظة عادت الإذاعة تكرر بيانها : (إن قواتنا تسحق – أكرر تسحق – المصريين . . إن جنودنا فى سيناء يقولون إنهم لا يرضون أن يكونوا مكان المصريين الذين أجهز عليهم جيش الدفاع « تسهال ») ! !

٦ – وتحطم « جازيت » لأنه نشر الخريطة الحقيقية !

توالى تبديل وتغيير المسئولين عن الإعلام الإسرائيلى فى محاولة لإنقاذه من الفضائح المتتالية . وبعد أن استدعى أهارون ياريف (رئيس المخابرات الإسرائيلية السابق) ليتولى هذه المسئولية ، اعتزل مهمته كمسئول عن الإعلام فى اليوم الثالث . واقترح موشيه ديان على السيدة مائير رئيسة الحكومة أن تضع شئون الإعلام فى نطاق مسئوليتها ، وقد وافقت على ذلك ، ولكن بعد أقل من اثنتى عشرة ساعة اتصلوا هاتفياً من مكتبها بديان وقالوا له : « ليس عندنا شخص ملائم لتولى هذه المهمة » وهكذا أعيدت الكرة إلى وزارة الدفاع ، فقام ديان بتعيين الجنرال « شلوموجازيت » منسق الأعمال فى المناطق المحتلة ، مسئولا عن شئون الإعلام . وبعد أسبوع تحطم جازيت أيضاً وأبعد عن مسئوليته الإعلامية **فماذا كان الخطأ الفادح الذى ارتكبه ؟ !**

إن مؤلفى كتاب المحدال الإسرائيليين يقولون إجابة على هذا السؤال : « لقد ارتكب جازيت خطأ فادحاً عندما عرض خريطة توضح الخطوط التى وصل إليها الجيش الإسرائيلى فى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ، لأنه فى اليوم التالى عندما تم توسيع مجال السيطرة الإسرائيلية غربى القناة على إثر خرق وقف إطلاق النار عرضت الخريطة التى رسمها (جازيت) كبرهان على مكان وقوف القوات الإسرائيلية فى اليوم الذى أعلن فيه وقف إطلاق النار ! ! »

. . هكذا طرد مسئول الإعلام لأنه لم ينتبه لأسلوب الخداع والكذب الذى مارسه الإعلام الإسرائيلى . . فكان نشره لتلك الخريطة التى وضحت موقف القوات الإسرائيلية فى الثغرة قبل انتهاكها لقرار وقف إطلاق النار . . دليلا على أمرين هامين :

١ – ضعف وحرج موقف هذه القوات التى بدأ تنفيذ القرار وهى بين فكى القوات المصرية .

٢ – انتهاك إسرائيل لقرار وقف إطلاق النار لكى توسع هذه القوات من الأرض التى تنتشر عليها حتى تخف قبضة القوات المصرية عليها !

* ونستطيع أن نقول بصورة أخرى إن الإعلام الإسرائيلى حين أخطأ فذكر الحقيقة كشف الفشل العسكرى ، وحين عاقب المسئول عن ذكر هذه الحقيقة ، أكد الإصرار على انتهاج أسلوب الكذب والخداع . . فهو بذلك قد سقط مرتين ! !

٧ – **كذب . . وفشل . . وانهيار :**

يصف مؤلفو كتاب التقصير موقف الإعلام الإسرائيلى فيقولون فى أكثر من موقع :

(ا) لم يعد الجنود الإسرائيليون يصدقون كلمة واحدة مما تبثه إذاعة صوت إسرائيل فبينما هم مجبرون على صد العدو المصرى كانوا فى الإذاعة يتحدثون قائلين :

« إن قواتنا تسحق وتبيد وإننا نكسر عظام الجيش المصرى ! ! »

(ب) . . فى اليوم الثانى ، **عندما اتضح أن الوضع على الصعيد الإعلامى سئ كالوضع فى الجبهات** . تم البحث عن شخص آخر ليتولى مسئولية الإعلام واستدعى الجنرال أهارون ياريف ليقوم بهذه المهمة وعندما اتضح أن أزمة الثقة أكبر مما كان متصوراً تقرر عقد مؤتمر لكشف أقل القليل من الواقع المرير ! ! .

(حـ) ربما كان أحد أسباب **الفشل التام** الذى منى به الإعلام الإسرائيلى يعود إلى أسلوب المسئولين عن جهاز الإعلام التابع للجيش الإسرائيلى ! !

(د) لكن موشيه ديان لم يغفر للعقيد « لاهف » ما حدث خلال الأيام الأولى للحرب . ولسبب ما أراد أن **يحمله مسئولية فشل الإعلام** التى تقع على عاتقه هو ، وسعياً **لترميم الحطام** عينوا ضابطاً بالرتبة نفسها مسئولاً إعلامياً

٨ – **التضليل . . والبيانات المتبجحة . . وانتناقض و . . . و . . . .**

كتب يوئيل ماركوس فى صحيفة هآرتس (٦ / ١١ / ١٩٧٣) يقول :

ليس من شك فى أن الجمهور يمر فى أزمة ثقة . فهو لا يثق بالمسلمات والنظام **والإعلام** . ولدى كثيرين شعور بأنهم خدعوا ولم تقل لهم الحقيقة ! . . والأسوأ من هذا أن أحداً لم يخبرهم حتى الآن بالحقيقة ! ! إن الشك يسودنا : الشك فيما حدث ، والشك فيما يحدث الآن !

إن أزمة الثقة هذه لم تتولد دفعة واحدة . لقد تولدت على مراحل عندما كان الجمهور يكتشف فى كل مرحلة شيئاً جديداً لم يكن يعرفه فى المرحلة السابقة !

لقد بدأ كل شىء فى اليوم الأول من الحرب عندما بدأت حملة من التشويه والإخفاء والتضليل والكذب المفضوح بهدف رفع المعنويات كما قيل . ولقد اتضح هذا لدرجة

أصبحت معها برامج الأخبار العبرية من راديو القاهرة والتليفزيون الأردنى مصدر معلومات موثوقاً به أكثر من إسرائيل ! !

أى تدهور هذا الذى وصلنا إليه ؟ ؟ لقد علمنا من التليفزيون الأردنى أول مرة – عن طريق صور حية ظهرت فيها الأعلام المصرية على تحصيناتنا بأن المصريين موجودون فى خط بارليف . وعندما كان ناطقون موثوق بهم يتحدثون هنا فى إسرائيل – فى اليوم الثانى للحرب – عن « تحول » وعن هجوم مضاد وعن أن « قواتنا تبيد المصريين » كان بالإمكان الاستماع فى كل ساعة إلى راديو القاهرة يذيع بالعبرية تفاصيل ما حل بدبابات عساف ياجورى ، وفى اليوم نفسه ، الذى تناخر فيه معلق رسمى فى تل أبيب بأن سلاحنا الجوى دمر كل الجسور التى أقامها المصريون على القناة أعلن أحد مراسلى « نيوزويك » الذى رافق القوة المصرية التى عبرت القناة أن ٧٠ ألف جندى مصرى مع ٩٠٠ دبابة قد عبروا « الجسور » (التى قلنا إنها لم تعد قائمة ! !) .

وعندما أعلنت شخصيات مرموقة عندنا عن إصابات لقواتنا هنا وهناك . وعن دبابات للعدو دخلت هنا وهناك ، عرف الآلاف من جنود الاحتياط (الذين كانوا بين المدنيين) إن « هنا » و « هناك » تعنى أن المصريين قد سيطروا على قناة السويس بكاملها وأن السوريين قد وصلوا إلى نصف هضبة الجولان تقريباً .

ويضيف الكاتب الإسرائيلى قائلا :

« خلال هذه الحملة من التضليل ، والبيانات المتبجحة ، والتناقض ، وعدم الدقة ، والإخفاء المتعمد أصيبت ثقة الجمهور بضربة أخرى . وكان ذلك عندما بدأ يتضح أن وجهة نظر سياسية أمنية كاملة قد انهارت تماماً . ويبدو لى أن نقطة التحول حدثت عندما علمنا بالحصار المصرى على « باب المندب » فى اليمن الجنوبى فقد اتضح لنا فجأة أن شرم الشيخ ليس حيوياً كما كنا نعتقد طوال أعوام عديدة .

وإلى جانب ذلك انهارت « الشعارات » القائلة « إن وضعنا لم يكن فى أى مرة أحسن مما هو عليه الآن » و « إن الزمن فى صالحنا » وإن العرب لا يستطيعون مهاجمتنا . . إلخ .

ويختتم ماركوس دراسته قائلا :

« إن التقارير الكاذبة جاءت مع الارتباك الذى تولد فى أثناء الحرب »

. . . . . .

. . . . . .

ماذا تقول إذاعة القاهرة . . يا كوستا ؟ !

بادئ ذى بدء لم يحدث خطأ مطبعى . . أو تكرار غير مقصود لهذا العنوان . . فلقد آثرت أن أجعل عنوان هذا الباب عن الإعلام العربى . . هو نفسه العنوان الذى تناولت فيه إحدى الوقائع التى تكشف فقدان الثقة فى الإعلام الإسرائيلى . . وذلك لأنه يكشف فى نفس الوقت النجاح الذى حققه الإعلام العربى ، والثقة التى اكتسبها ليس فقط لدى الرأى العام العالمى ولكن لدى الإسرائيليين أنفسهم .

. . . . . .

فكيف تحقق هذا النجاح . . وتلك الثقة ؟

كيف وصل الأمر إلى حد أن الإسرائيليين كانوا – أيام الحرب – يتجمعون فى شارع (صدلين هامالكا) ليسألوا (سقراط كوستا) المسئول عن أجهزة الاستماع للإذاعات العربية . . عما تقوله إذاعة القاهرة وإذاعتا دمشق وبيروت ؟

كيف حدث هذا التحول الخطير . . فانتقل الإسرائيليون من السخرية من إذاعة القاهرة وضرب المثل بها فى مجال الكذب . . إلى البحث عما تقوله « عن ثقة فى كل ما يصدر عنها ؟ ؟ » إن هذا التحول البارز يجعلنى أركز فى حديثى على الإعلام المصرى لأنه – كما اتضح – كان محور الهجوم والسخرية طوال أعوام ما قبل ١٩٧٣ – ولأنه وهذا منطق - نموذج للإعلام العربى كله .

هكذا . . تحرك الإعلام المصرى

أولا – ما قبل ساعة الصفر : (اجتياز « حاجز اهتزاز الثقة »)

كانت المسئولية الملقاة على عاتق الإعـلام المصرى مسئولية ضخمة وحساسة إلى حد كبير ، فمثلما كان على القوات المسلحة أن تجتاز قبل كل شىء حاجز الخوف الذى أقامته عالياً ضارياً أحداث يونية ١٩٦٧ والدعايات الصهيونية التى انطلقت فى جهد مخطط وكبير لكى تحول هذا الحاجز إلى حقيقة مخيفة . كان أيضاً على الإعلام المصرى أن يجتاز – قبل كل شىء – فجوة اهتزاز الثقة التى بدأت أيضاً مع حرب ١٩٦٧ . وتلقفتها الدعاية الصهيونية لكى تجعلها حقيقة ثابتة . وما عداها مجرد استثناء ! ! وكانت هذه الفجوة تقف بكل أبعادها بين المواطن العربى وإعلامه ثم بين العالم الخارجى والإعلام العربى .

ومن خلال التفهم الواعى لهذا « الواقع الإعلامى » ، ومن أجل القيام بالدور المرتقب من ساعة الصفر . استحدثت الخطة التى وضعها المسئولون عن الإعلام المصرى اتجاهات متعددة ومحددة لاجتياز تلك الفجوة ، وبالفعل استعاد الإعلام ثقة واحترام الكثيرين عندما اختفت تماماً المبالغات والتشنجات الإذاعية والصحفية ، وسادت النبرة الهادئة الموضوعية . وتغلب جانب التحليل العلمى المركز على التفسيرات الانفعالية . . كما أنه تم تدارك ذلك الخطأ المتمثل فى تجاهل ما يصدر عن إعلام العدو ومنع تداوله فأصبح طبيعياً – إلى حد كبير أن ينشر ويذاع ما يكتبه ويذيعه إعلام إسرائيل أو أصدقاؤها فى العالم الغـربى ولكى يخضع ذلك كله للتعليق والتحليل بالأسلوب العلمى الهادئ ، ولعل هذه الخطوة بالذات كانت دليلاً على استعادة الإعلام المصرى لنضجه وذكائه » .

ثانياً : الخطة الإعلامية الخداعية « لقد خدعنا إعلامكم الذكى ! ! » :

بعد أن توقف إطلاق النار . سارع كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى إلى بدء جهوده من أجل تحقيق حل سلمى يمنع انفجار الموقف مرة أخرى ، وفى أولى زياراته للقاهرة وأثناء مأدبة العشاء ، التقى بالدكتور عبد القادر حاتم ، الذى كان نائباً لرئيس

الوزراء ووزيراً للإعلام منذ الأيام الأولى لثورة « ١٥ » مايو التصحيحية ، وقد قال كيسنجر للدكتور حاتم : « أعترف لك بالذكاء . فقد خدعنا إعلامكم الذكى ، وباعد بيننا وبين التقدير الذى كان واجباً أن ننتبه إليه ! ! »

ولعل ما قاله كيسنجر – معبراً عن رأيه واستنتاجات الأجهزة الأمريكية المختلفة – يكفى لتوضيح ما قام به الإعلام المصرى من دور بارز فى تنفيذ الخطة الخداعية الشاملة التى ابتلع العدو والعالم « طعمها » وكانت « المفاجأة » فى وقت ومكان يصعب أو يستحيل فيه تحقيق المفاجأة خاصة بهذا الحجم ! !

ومن المعروف أنه لإحكام تنفيذ الجانب الإعلامى من هذه الخطة كانت قد تشكلت لجنة عليا برئاسة الدكتور محمد عبد القادر حاتم وممثلين لوزارات الحربية والخارجية والإعلام . كما أن الاتصال كان مستمراً بين مسئول الإعلام (الدكتور حاتم) ووزير الحربية المشير أحمد إسماعيل على رحمه الله .

ثالثاً – **الإعلام المصرى فى المعركة : (إذن كان المصريون يصدقون)**

(...) بالإضافة إلى كل ما ورد فى الحديث عن الإعلام الإسرائيلى ، وكيف اتجهت الثقة كلها إلى الإعلام المصرى تستوقفنا هذه الواقعة التى شهدتها شاشة التليفزيون البريطانى فى آخر أكتوبر ١٩٧٣ ، عقب استضافة برنامج « البانوراما » مدير الإعلام الإسرائيلى ، وقال له المذيع البريطانى : « لقد كنتم تذيعون من محطة إسرائيل أنكم ستهشمون عظام الجيش المصرى ، وأنكم حطمتم رجاله ومدرعاته . فكيف يتفق هذا مع ما تأكد للعالم أجمع من هزيمتكم ؟ بينما كانت الإذاعة المصرية تذيع انتصارات مصريين فى تواضع وبدون مبالغة أو تفاخر ؟ ! »

وهنا أجاب مدير الإعلام الإسرائيلى قائلا :

– إننا كنا نريد أن نرفع الروح المعنوية للشعب والجنود الإسرائيليين ! ! »

– وعلق المذيع البريطانى على ذلك بقوله .

« إذن كنتم تكذبون . . وكان المصريون يصدقون ! »

. . . . . .

وتستوقفنا – بعد هذه الواقعة الهامة – شهادة أخرى جاءت هذه المرة على لسان وزير الخارجية الفرنسى الذى أدلى بحديث قال فيه :

« إنه لأول مرة يؤكد الإعلام المصرى الثقة فيه بإعلانه الحقيقة بصدق كامل ، الأمر الذى جعله يكسب ثقة الدول الغربية ، بينما كانت إسرائيل لا تذيع الأخبار الحقيقية الصادقة على العالم ! ! »

. . . . . .

(ب) منذ اتخاذ القرار ببداية المعركة تم الانتقال الفورى من خطة ما قبل المعركة إلى تنفيذ خطة المعركة ذاتها ، وقامت كافة الأجهزة بتنفيذها على أكمل وجه تحت إشراف لجنة العمل الوطنى العليا . وأستطيع أن أقول إنه مما يسر تنفيذ هذه الخطة أنها كانت – فى معظم مراحلها – امتداداً طبيعياً للخطة السابقة .

وقد التزمت هذه الخطة الإعلامية (القتالية) بالمبادئ الأساسية التالية :

١ – الهدوء . . والبعد الكامل عن الزعيق والتشنج الإعلامى .

٢ – مخاطبة العقول . . وليس العواطف .

٣ – الصدق الكامل وتأكيد الثقة فى كل ما يصدر عن أجهزة الإعلام .

٤ – السرعة فى نقل الأخبار .

(حـ) تنفيذاً لهذه المبادئ تم نقل ما يدور على جبهة القتال إلى جماهير الشعب بصورة منتظمة وسريعة ، حيث انتقلت عناصر تمثل كافة أجهزة الإعلام إلى جبهة القتال وشاهدت أرض المعارك أعداداً كبيرة من المراسلين الحربيين المصريين المؤهلين للقيام بهذه المهمة . . وقد أثمر ذلك كله فى نقل صور حية لما يدور فى ميدان القتال وللبطولات العديدة التى حققها المقاتلون المصريون ، بل إن عدداً من المراسلين انتقلوا إلى الجبهة السورية ومن هناك اكتملت صورة المعارك والبطولات للقوات العربية المسلحة .

– تم تقديم التسهيلات اللازمة لأكبر حشد صحفى عالمى شهدته مصر ، وقام المتحدث الرسمى والمتحدث العسكرى بالعمل فى تنسيق متكامل من أجل إعطاء صورة كاملة للأحداث سياسياً وعسكرياً ، وذلك بالإضافة إلى ما نقله هؤلاء المراسلون بأنفسهم من جبهات القتال .

– وإلى جانب توخى الصدق الكامل مما حقق الثقة فى كل ما يصدر عن الإعلام المصرى العربى منذ الأيام الأولى للحرب ، نجحت أجهزة الإعلام المصرى فى شن حرب نفسية على العدو . . مما أضعف معنويات جنوده وقادته . وبالرغم من أن الحروب النفسية تستلزم عادة نوعاً من المبالغة والتلفيق فإن الإعلام المصرى تمسك بالصدق فقط . . وقد

أضاف ذلك إلى نجاحه فى هذه الحرب . خاصة وأنه اعتمد على ما كان يقوله العدو نفسه قبل الحرب بالثقة والغرور . . وما اعترف به ضباطه وجنوده أثناءها وبعدها .

– حاولت إسرائيل بكل جهودها الإعلامية أن تنتقص من الثقة التى نالها الإعلام المصرى ، وقد تصورت أنها وجدت ضالتها عندما تأخرت أجهزة الإعلام المصرية عن إعطاء صورة كاملة – مثلما تعودت منذ البداية – لعملية الثغرة الإسرائيلية (التليفزيونية) . وعلى الرغم من أن هذه السلبية الوحيدة جاءت نتيجة الظروف القتالية ، وتأخير القيادة المحلية الميدانية الصغرى فى الإبلاغ عما يحدث .

وهذا نفسه ما ساعد القوات الإسرائيلية فى التقاط أنفاسها على أرض المعركة بالرغم من ذلك إلا أن الإعلام المصرى سرعان ما استعاد إيقاعه المنتظم الصادق ، وبالتالى فشلت المحاولات الإسرائيلية المتهافتة للنيل منه ، وجره إلى الهوة التى وقعت فيها أجهزة الإعلام الإسرائيلية نفسها منذ اللحظات الأولى .

تجربة شخصية :

من خلال عملى كمراسل حربى للإذاعة ، لاحظت بالتجربة – ما أشار إليه مراسلون أجانب – من أن البيانات العسكرية كانت تتوخى الصدق لدرجة أنها كانت تقلل أحياناً من حجم خسائر العدو وإمعانا فى الدقة . فمثلا . . كنت فى قطاع الجيش الثانى فى ثالث أيام القتال وشاهدت انتهاء معركة بين سرية مدرعات مصرية . . وكتيبة مدرعات إسرائيلية . . وحين تقدم قائد السرية المصرية الشاب إلى قائد اللواء ليبلغه بخسائر العدو (لم تتعرض سريته لأية خسارة) قال له . . « لقد دمرنا ١٣ دبابة باتون وسنتوريون » . واستمع إليه القائد الذى كان يراقب سير المعركة ، ثم أمسك بجهاز اللاسلكى ليبلغ بدوره عن نتيجتها ، وفوجئ قائد السرية – وفوجئت أنا معه بالرجل وهو يقول : « دمرنا للعدو ٨ دبابات » . . وانفعل النقيب « صلاح » وسأل القائد لماذا أنقص العدد بهذه الصورة ؟ . وهو قد دمر بالفعل ١٣ دبابة وليس ثمانى دبابات ؟ فقال القائد . . أنا أصدقك تماماً . . ولكن العدو سحب خمس دبابات مصابة وبالتالى لا يمكن أن أعطى بياناً إلا بالدبابات الموجودة بالفعل لدينا ! ! »

واقتنع الضابط الشاب . . وأذكر أنه ابتسم لى – فى شىء من الضيق – عندما فتح الراديو الترانزستور بعد دقائق ، واستمع للبيان الذى أشار إلى تدمير « ٨ » دبابات

فقط فى هذه المعركه ! !

– إلى هذا الحد كانت الدقة . . وكان الصدق . .

– وقد مررت بأكثر من تجربة لمست فيها بيدى هذه الصفات التى أكسبت إعلامنا الثقة والاحترام ، ولعلى لا أنسى ذلك الحوار الذى دار بينى وبين ضابط الأمن العسكرى الذى أسمعته تسجيلا لى من الجبهة وكان الجندى الذى أجريت معه المقابلة . . متحمساً بشكل واضح . . وتحدث عن بطولات زملائه (وليست بطولاته التى عرفتها أنا) ثم أشار إلى فرار وهروب الجنود الإسرائيلين أمامهم ! !

وقد فوجئت باعتراض ضابط الأمن الصديق ، وقوله لى إن الجندى صادق فى حواره معك مائة فى المائة ، ولكن هذه البطولات – برغم وقوعها – فيها ما قد يبدو نوعاً من المبالغة . . كما أن تصوير جنود العدو فى هذه الصورة ليس مقبولا – برغم صدقه فى معارك مختلفة لأنه إذا كان عدد من ضباطهم وجنودهم قد فروا . . وهربوا تاركين مواقعهم ومعداتهم ، فإن البعض الآخر قاوم وحـــاول التشبث بموقفه ، وبالتالى فإن ما يقوله الجندى – فى التسجيل – قد يوحى بأنه حكم مطلق وهذا ما نرفضه نحن .

* إلى هذا الحد كانت الدقة . . وكان الصدق .

* وبهذا التخطيط والتنفيذ كسب الإعلام المصرى العربى جولته الخطيرة مع الإعلام العسكرى . ولا ينتقص من هذه الحقيقه ذكر النظرية القائلة بأن العمل العسكرى الناجح يحقق إعلاما ناجحاً . . ذلك لأن الجهد التخطيطى والتنفيذى إعلامياً قد استثمر بذكاء نجاح العمل العسكرى . . بعد أن نجح تماماً من عبور مانع اهتزاز الثقة الذى وقف فى مواجهة الإعلام العربى – كما أشرت – منذ حرب يونية ١٩٦٧ .

* ولهذا . . طلب المسئولون عن الإعلام فى العالم من مراسليهم أن يأخذوا معلوماتهم من الجانب المصرى (دون الجانب الإسرائيلى) ولهذا تجمع الإسرائيليون فى شارع (صدلين هامالكا) ليسألوا (سقراط كوستا) المسئول عن أجهزة الاستماع للإذاعات العربية . .

« ماذا تقول إذاعة القاهرة . . ياكوستا ؟ ؟ »

اعتراف . . وشهادة :

« لقد تحدثنا أكثر من اللازم قبل « يوم الغفران » ويبدو أننا تعلمنا كيف نتكلم ! لقد كان المصريون صبورين ، كما كانت بياناتهم أكثر واقعية منا ، كانوا يقولون

ويعلنون الحقائق تماماً ، حتى بدأ العالم الخارجى . وبعد الأيام الأولى من الحرب يتجه إلى الثقه فى أقوال وبيانات المصريين تماماً » .

(توقيع)
الجنرال حاييم هيرتسوج
المتحدث العسكرى الإسرائيلى ومدير المخابرات السابق

« لقد لوحظ اختفاء المبالغات من الإعلام العربى ، فى حرب ١٩٧٣ ، وطوال أيامها ، قامت إذاعة القاهرة بإذاعة الأناشيد الوطنية والتعليقات المعتدلة إلى جانب ما كانت تذيعه من نداءات – عن طريق موجة الإذاعة العبرية بها – تدعو فيها الشعب الإسرائيلى للإطاحة بحكومته التى تقوده إلى كارثة !

إن المراقبين الإسرائيليين يشيرون إلى أن إذاعة القاهرة خاضت فى حرب أكتوبر حرباً أخرى (شريفة) ، كما يشيرون كذلك إلى أن الإسرائيليين أصبحوا يحبون – بشكل عام – الاستماع إلى محطة (كول كاهير) » صوت القاهرة باللغة العبرية « ويستقون منها الأنباء » .

(توقيع)
مراسل وكالة الأنباء الفرنسية
فى تل أبيب